مصر من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٧

تصحيح الإنحراف وقوة الارادة .

حرب أكتوبر واسترداد الثقة .

الـــــدعوة للأمـــــان والكفـــــاح مـــــن اجـــــل الـــــسلام

www.anwarsadat.org

بعد موت عبد الناصر، إنتخب الشعب السادات رئيسا للجمهورية فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٠، وتسلم الرجل الحكم، ومنذ أول يوم تولى فيه استيقظت فى نفسه ارادة التحدى.. صحيح إنها لم تنم طوال السنوات السابقة فهى احدى مقومات شخصيته ولكنها لم تكن بهذه اليقظة والحدة الإن.. بعد إن تسلم الحكم.. فقد صارت مسئوليته إن يسلم الشعب الأمانة سليمة رغم كل الظروف المحيطة به من:

*** هزيمة عسكرية كاملة الابعاد .**

*** وضع اقتصادى منهار .**

- **عزلة سياسية قاتلة**
- **اضف إلى كل هذا بعض الحقائق التى لمسها الرئيس بنفسه والتى تقطع بإن احدا من المسئولين الذين كانوا يحيطون بعبد الناصر لم يكن يأخذ فى حسابه الا المصلحة الخاص وبقاءه ق منصبه وسلطاته المطلقة يغض النظر عن مصلحة مصر فلقد اصبحت الحسابات كلها شخصية كما اصبح الجميع يعيشون بالحقد والبغضاء ،**

www.anwarsadat.org

كل هذه الصعاب شحنت ارادة التحدى عند الرجل فدعمتها وايقظتها بحيث لم تضعف أو تغفل لحظة واحدة منذ إن تولى حتى الإن .

كان الموقف صعبا ، والتركـــــة التى ورثهـــا الـــسادات من عبد الناصر فى حالة يرثى لها ، فمن الناحية السياسية.. وجد الرئيس إن علاقاتنا مع الدول العربية وأمريكا وغـــرب أوروبا ممزقة تمأما.. بل لم تكن لنا علاقة الا مـــع الاتحـــاد السوفيتى الذى لم يفكر حتى فى إن يعوضنا عن قطع علاقتنا مع جميع دول العالم .

كانت السياسة تخضع للإنفعـــالات.. فـــلا وجـــود لـــوزارة الخارجية أو سياسة مدروسة أو مخططة .. لم يكـــن هنـــاك سوى الزعيم الذى ينفعل فيصدر قراراته بنـــاء علـــى هـــذا الإنفعال وهو راض سعيد مادام كل ما يقولـــه يـــصفق لـــه الشعب .

امر غريب كيف تكون اقدار الشعوب رهينة الإنفعـــالات.!! إن الواجب يقتضى البحث عن كل مـــصدر لخيـــر وســـعادة البشر، وإن تفتح كل الابواب الق اغلقت فى وجه مصر مهما

www.anwarsadat.org

كلف هذا من جهد وعناء.. هكـذا كـان مفهـوم الواجـب السياسى لدى الرئيس السادات .

ومن الناحية الاقتصادية.. كانت التركة اسوا بكثيـر مـن التركة السياسية، فلقد نقلنا بغباء شـديد الـنمط الـسوفيتى ونحن نسير على الخط الاشتراكى ، رغم إننا كنا نفتقر إلـى الموارد والامكانيات وتراكم راس المال.. الذى حدث هو إن التطبيق الاشتراكى بدا يتجه إلى الماركسية فاصبح اى عمل حر راسمالية بغيضة ، واصبح القطـاع الخـاص اسـتغلالا ولصوصية، فاختفى تماما نشاط الأفراد مما استتبع سـلبية رهيبة من جانب الشعب وصلت إلـى إن اصـبحت الدولـة مطالبة ــ إلى جانب التخطـيط وإدارة الـسياسة الخارجيـة والداخلية ــ بتوفير الحاجات النى كـان يمكـن إن يوفرهـا الافراد بالمبادرة والنشاط الفردى . ولقد كان من نتيجة هـذا أن أصبح الشعب حسب النظرية الجديدة يعتمد على الدولـة فى كل شىء .. فما دامت الدولة قد اصبحت اشتراكية فعليها أن توفر للمواطن كل ما يريده ويطلبه دون اى جهد ايجابي من جانبه.. وهذا الانكماش هو زاوية الهبوط إلى الهاوية.. وباختصار تام لقد ضاع الاقتصاد المصرى فى حرب الـيمن

والإنفصال عن سوريا والتطبيق الماركسى للاشتراكية وهزيمة يونيو المنكرة .

وبالرغم من كل هذا فقد ايقن الرئيس السادات إن مفتاح كل شىء سياسيا واقتصاديا وعسكريا هو إن نصحح هزيمة ١٩٦٧ لكى نستعيد ثقتنا فى إنفسنا وثقة العالم بنا، فلم يكن الوضع الاقتصادى سوى بعد واحد من ابعاد المشكلة .

فى بداية حكم الرئيس السادات بدات منأورات مراكز القوى وعملاء الاتحاد السوفييتى فى القيادة السياسية،. و بدا الصراع و بدات ممارسات الضغط ومناورات الاحراج.. وتعهدت فيما بينها على إن يكونوا الورثة الشرعيين لعبد الناصر بدعوى إنهم الامناء على خطه.. فأما إن يجهزوا على شخص السادات وأما على الاقل- إن يحدوا من سلطته نهائيا بحيث لا يستطيع إن يتخذ قرارا الا بموافقتهم .

تحدث الرئيس اليهم موضحا إنه لايستطيع إن يصرف الامور كما كان يصرفها عبد الناصر فكل منهما يختلف عن الآخر.. صحيح لا اختلاف فى المبادئ أما الوسائل فالاختلاف عليها مائة فى المائة.. ولابد من ضرورة تغيير منهج الحكم والاساليب التى كانت الناس تحكم بها اذ كان الشعب بعد

الهزيمة وبعد الصمود الذى أبداه فى حاجة ملحة إلى التغيـــر .. أوضح الرئيس كذلك إنه لن يقبل هذا. الكابوس و الحمل الرهيب ذات الابعاد غير الواضحة .. ووعد بإعادة تصحيحه بالحب و بالثورة الداخلية التى يعتز بها دون إن يقف على اشلاء اى إنسإن أو يجرح اى شخص .

كان السادات يعرف إنه بهذا يتحدى الكثير من الأوضـــاع والاخلاقيات القائمة . ولكنه كان يعرف ايضا أنه قادر علـــى هذا التحدى .. فهو فى اى وضع ملىء بقوة ذاتية اكبر بكثير من المنصب الذى يشغله .. ولكن ها هو الإن يملـــك قـــوة مادية اعطاها له الله وهو منصب رئيس الجمهورية.. فلابـــد إن يستخدمها للخير .. كان هذا خط السادات طول عمره .. فاى عمل يقوم به يصدر عن مبادئ معينة هى اسعاد وحـــب مصر ولكن لم تكن الفرصة مواتية له فى اى وقـــت مـــضى مثلما اصبحت بعد إن اختار الـــشعب رئيـــسا للجمهوريـــة.. وعلى الفور :

" اصدر امرا بالغاء جميع المراقبات التليفونية.

''وفى ديسمبر ٧٥ اصدر قرارا بتصفية الحراسات .

وبالنسبة للوضع الخـــارجى تقـــدم فـــى فبرايـــر ١٩٧١ بالمبادرة المصرية لإنه ما دامت المعركة مستحيلة- وقتئذ- فلابد إن تحل محلها معركة دبلوماسية لأن القاعدة العريضة من الشعب تتطلب دائما الحركة المستمرة .

كانت هذه المبادرة نقطة بدء لمعركـــة سياســـية، وكانـــت صدمة للاتحاد السوفييتى وعملائه وخاصة من كان منهم فى مراكز القـــوى.. وزادت عنـــد المتـــامرين حمـــى التـــآمر والتحريض والاجتماعات والمناقـــشات.. ووضـــحت بنيـــة الخيانة.. وحينئذ

قرر الرئيس تخليص مصر من كابوس مراكز القـــوى التـــى ظلت جاثمة فوق الصدور سنة بعد سنة تعبث باقدار الناس، تزرع الخوف فى الإنسان المصرى وتعطل العدالـــة وتـــشيع الحقد وتذيق الناس من ألوان القهر والتعذيب ما لا طاقة لهم به وتحرمهم من اهم مقومات الحياة وهى الحريـــة، ولـــذلك امر بالاتى :

* حرق جميع شرائط التسجيل الموجودة فى وزارة الداخلية ، وكان هذا رمزا لاعادة الحرية إلى الناس .

* اغلاق جميع المعتقلات ، وتحريم الاعتقـــال، واعلـــن إن لكل مواطن الحق فى أن يفعل أو يقول اى شىء فـــى ظـــل سيادة القانون .

لقد كان ما حدث فى ١٥ مـــايو ٧١ والايـــام التـــى تلتهـــا تصحيحا لمسار ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ولكنه فـــى نفـــس الوقت بمثابة اللبنة الأولى فى بناء المجتمع الاشتراكى الذى نعيشه اليوم والذى يتسم بالعدالة الاجتماعية الحقيقى لا الشعارات ، وبالعمل الايجابى والاهداف الساطعة فى وضح لا التفسيرات الملتوية أو الفلسفات الدخيلة علينا ا لبعيدة عن قيمنا العربية وعن إيمان هذا الشعب بالرســـالات الـــسماوية وتمسكه بتراث وتقاليد العائلة المصرية الاصيلة .

وعلى اثر القضاء على كل مراكز القوى ، ذعرت روســـيا لما إنتاب عملائهم وطلبت أن تعقد مصر معاهدة مع الاتحاد السوفييتى. وقبل الرئيس الـــسادات ذلـــك وكـــان هدفـــه أن يطمئنهم ، فقد كان يعرف إن من طبعهم أن يتركوا أنفـــسهم فريسة للشكوك فى كل علاقاتهم مع الغيـــر .. بـــل وطلـــب السادات من بودجـــورنى بعـــد توقيـــع الاتفاقيـــة أن ينقـــل

للسوفييت رسالة منه.. وهى " الثقة.. الثقة .. الثقة " فلقد شعر سيادته إنهم مهتزون وكان يخشى من هذا على معركتنا المرتقبة ، وعزز ذلك بزيارة لموسكو عام ١٩٧٢،. وبدا السوفيت يرسلون لنا الاسلحة التى يريدون هم ارسالها أما التى نريدها نحن فيحجبونها عنا .

وباعلإن الوفاق بين موسكو وواشنطون ، حمل السفير السوفييتى لمصر تحليل الموقف ووجهة النظر التى تقول ببساطة إننا لا نستطيع أن نبدأ معركة وإن لهم خبرة فى هذا الموضوع وكيف إنهم بذلوا مجهودا خارقا فى اقناع الرئيس الامريكى بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ رد الرئيس السادات إنه لا يقبل هذا التحليل . بل ويرفض أسلوب القادة السوفييت فى التعامل معنا . وقرر الاستغناء عن جميع الخبراء العسكريين السوفييت وترجع اسباب هذا القرار إلى:

موقف الاتحاد السوفييتى منا .

بنى الرئيس السادات استراتيجيته إن لا يبدا المعركة وعلى ارض مصر خبراء سوفييت .

إن السفير الروسى بدا يأخذ لنفسه وضعا اشبه مـــا يكـــون بوضع المندوب السامى البريطانى ايام الاحتلال .

وكان من اهم الاسباب إن الرئيس اراد إن يضع الـــسوفييت فى حجمهم الطبيعى كدولة صديقة لإنهم ظنوا فى مرحلة من المراحل إن مصر اصبحت فى جيبهم وظن العالم إن الاتحـــاد السوفييتى هو ولى امرنا فاراد إن يقول للسوفييت إن مصر ارادتها تنبع فقط من ذاتها وإن يقول للعالم إن امرنا بيـــدنا وحدنا، فمن يرغب فى الكلام عن مصر ياتى الينـــا ويـــتكلم معنا لا مع الاتحاد السوفييتى .

بعد طرد الخبراء الـــسوفييت، بـــدا الـــرئيس فـــى الاعـــداد للمعركة.. لقد تسلم الوضع العسكرى- فى أواخـــر ١٩٧٠- خطة دفاعية ولكن لا وجود لخطة هجومية ، فبدا فى وضـــع التخطيط الاستراتيجى للمعركة.، ثم الهيكل الاساسى للخطـــة واعداد تجهيزات الهجوم مع الاصرار على عـــدم تـــرك اى فراغ فى القوات المسلحة مهما كان بسيطا ولو للحظـــات .. كل ذلك اعطى الضباط الثقة فى إنفسهم وجعلهم يـــشاركون مشاركة فعالة فى العمل بل وفى التخطيط ايضا، وعلى هـــذا

يقول الرئيس : (إن خطة حرب أكتوبر قد وضعتها القـــوات المسلحة باجمعها على كل المستويات) .

وواكب فترة الإعداد للمعركة التدريب علـــى كـــل شـــىء بالتفصيل اذ لم تعد الحرب خطة توضع وأوامر تصدر للقوات لتنفيذها، بل كلما كثرت التـــدريبات واتقنـــت زادت فـــرص النجاح .

أما فى داخل مصر وعمقها لم يكن الاهتمام منصبا علـــى الناحية المعنوية فحسب ، بل اعداد الدولة للحرب ، اذ كـــان التخطيط يقوم على إن مصر كلها ارض معركة .

وتلى ذلك تجهيز الساحة العالمية كلها للمعركة، فلقد كـــان هذا تنفيذا للاستراتيجية التى رسمها الرئيس بتجهيز الموقف عربيا، وافريقيا، ودوليا، ثم فى عالم عدم الإنحياز، وكان كل ذلك فى ١٩٧٣ عام المعركة كانها "منحة من الـــسماء ".. وهنا يقرر الرئيس بكل الثقة والايمإن " إن هناك قوة خارجة اقوى من البشر تدبر امورهم وتسترها حسبما تـــرى وفـــى ظروف معينة لا سلطان لنا عليها .

وفى التوقيت المحدد ، فى الساعة الثإنية تماما ، بعد ظهـــر السبت ٦أكتوبر نجحت ضربة الطيران نجاحا كاملا ومـــذهلا

حسب التخطيط الذى وضع لها ، استعاد سلاح الطيران المصرى كل ما فقدناه فى حربى ١٩٥٦ وهزيمة ١٩٦٧، ومهد الطريق أمام قواتنا المسلحة باسلحتها المختلفة بعد ذلك لتحقيق ذلك النصر الذى اعاد لقواتنا ولشعبنا ولامتنا العربية الثقة الكاملة فى نفسها وثقة العالم بنا، وإنتهى إلى الابد خرافة إسرائيل التى لا تهزم ، فلقد وصلت إسرائيل على الجبهة المصرية فى اربعة ايام فقط من بدء القتال إلى الحضيضBottom بنص كلمة جولدا مائير نفسها فى ندائها المشهور لأمريكا بإنقاذ إسرائيل save Israel .

وعلى الفور بدا كيسنجر فى العمل على وقف إطلاق النار على أن تعود القوات إلى المواقع التى بدات منها القتال يوم ٦ أكتوبر.. طبعا رفض الرئيس.. لقد عبرت القوات وحققت المرحلة الأولى بالاستيلاء الكامل على خط بارليف ولم يعد أمامها الا المرحلة الثإنية وهى الوصول إلى المضايق .

وساء حال إسرائيل اكثر.. فتقدم كيسنجر بعرض اخر وهو وقف إطلاق النار على الخطوط الحالية، ولكن سوريا كانت فى ذلك الوقت قد رجعت عن خط البدء فرفض الرئيس هذا

ايضا.. كما ارسل الاتحاد السوفييتى ثـلاث طلبـات لوقـف إطلاق النار ورفضتها مصر جميعا.

بعد إن تازم موقف إسرائيل تحولت مساندة أمريكا لها إلـى تدخل واضح وصريح ومباشر.. حدث تطور خطير.. دخلت أمريكا الحرب لإنقاذ إسرائيل وهى تـستخدم بكـل صـراحة مطار العريش المصرى الذى يقع خلـف الجبهـة.. أنزلـت الطائرات الأمريكية الجبارة التى تحمل الدبابات وكل الاسلحة الحديثة والتى لم يستخدم اغلبها من قبل، لكى تحول الهزيمة الإسرائيلية إلى إنتصار.

فجاة.. اصبحت مصر فى مواجهة أمريكـا.. لـذلك اتخـذ الرئيس قراره بالموافقة على وقف إطلاق النار، وهـو مـا رفضه اربع مرات عندما كان الخصم فى المعركة إسـرائيل وحدها- لا أمريكا -

يسجل الرئيس- للتاريخ- إن الثغرة التـى حـدثت هـى مسئولية أمريكا بل ومسئولية البنتاجون ذاته والمـساعدات التى قدمها لإسرائيل والصور الجويـة والعتـاد والاسـلحة الجديدة التى استخدمت لأول مرة ولم تكن متاحة، لاى إنسإن خارج أمريكا إلى ذلك التاريخ، ولم تكن الثغرة فى ذاتها هى

التى جعلته يقبل وقف إطلاق النار.. ولكن الذى دفعه إلى هذا إنه اصبح فى حالة مواجهة عسكرية كاملة مع أمريكا وهو ما لا قبل له أو لاية دولة غير عظمى به.. ونحن نعرف تماما إمكانياتنا وحدودنا..

يذكر الرئيس السادات إن الموقف فى هذه الأونة كان على غير ما يتصوره العالم كله.. فلقد كان اعتقاد الجميع فى العالم إن الاتحاد السوفييتى يقف إلى جانبنا.. ولكن الموقف كان غير ذلك فى الواقع.. فأمريكا وإسرائيل فى مواجهتنا، والاتحاد السوفييتى فى يده الخنجر ويقبع وراء ظهورنا ليطعننا فى اى لحظة عندما نفقد سلاحنا .

بعد وقف إطلاق النار.. بدات جولة اخرى وجولات من اجل السلام.. فلقد اعلن الرئيس : " إننى لاذهب إلى اخر العالم- كما يعرف شعبى وقواتى المسلحة- إذا كان ذلك من شإنه إن اتفادى جرح - ولا اقول قتل- فرد واحد " .

لكفاح السادات من اجل السلام قصة طويلة.. فالرجل يؤمن إنه فى سبيل السلام يمكن بل بجب إن يفعل الإنسان اى شىء، لإنه لا شىء فى الدنيا يسأوى السلام : فهو ابن

شعب عريق داب عبر تاريخ البشرية علـــى احتـــرام القـــيم الإنسانية والحفاظ عليها.

بدا الرئيس الدعوة من اجل السلام منذ اليوم الأول لتوليـــه المسئولية..

فلقد ابلغ السفير الامريكى الذى وفد لتقديم التعزيـــة فـــى وفاة عبد الناصر.. إن كل ما يريده السلام.. وإنـــه مـــستعد للذهاب إلى اقصى مدى فى سبيل ذلك..

ولما كان الرئيس جادا فى دعواه ، مؤمنا برسالته ، كـــان لابد له من أن يفعل شيئا بناءا يثبت لأمريكا والعـــالم كلـــه حسن مقاصده. فهو يريد السلام ومستعد له.. وفى يده ايضا أن يتخذ قرارا فى هذا الشأن..

فتقدم بمبادرة مصرية للسلام فى فبرايـــر ١٩٧١، اعلـــن فيها استعداده لابرام اتفاقية سلام مع إسرائيل.. كـــان ذلـــك مفاجاة مذهلة للعالم كله، بينما تقبل الشعب المصرى بحـــسه المرهف الواعى الاصيل هذه المبـــادرة بفهـــم وادراك واع وحصيف.

بدات صورتنا فى نظر أمريكا تتخذ ألوانا وأبعادا لم تكـــن مالوفة لديهم من قبل، ساعدتهم على المزيد مـــن التعـــرف

على مصر ورئيسها الجديد، وهو الامر الذى لم يحدث لاصدقائنا السوفييت الذين بيننا وبينهم معاهدة- والتى ابرمت لرفع الشك من نفوسهم - فهم منذ بدء علاقاتنا معهم، ومهما اختلفت الظروف يتصرفون معنا بنفس الأسلوب الفج الفظ والذى يبعد كل البعد عن ادراك الحقيقة كما هى.. أو حتى مجرد محاولة الإدراك .

استيقظت أمريكا والعالم معها.. لتجد رجلا شجاعا واضحا امينا مع شعبه، يقول فى العلن نفس ما يقوله فى السر، يضع كل شىء فى مكانه بأسلوب علمى سليم ، ويتخذ خطا جديد لم يتخذه اى زعيم عربى من قبله.. رأى العالم السادات وهو يتقدم بمبادرة سلام.. وراه ايضا وهو يتخذ قرار طرد الخبراء السوفييت.. مسائل لافتة للنظر ، وتدعو بالفعل إلى اعادة تقييم الموقف .

وبالرغم من وضوح النية والمقصد.. فنحن نعيش فى عالم الواقع ..

أيقن الرئيس السادات إن مفتاح كل شىء سياسيا وعسكريا هوإن نصحح هزيمة ١٩٦٧ لكى نستعيد الثقة فى إنفسنا،

وثقة العالم بنا ..وفوجئت أمريكا والعالم معها بحرب أكتوبر ١٩٧٣.. هذه الحرب التى غيرت المفاهيم وصححت الكثير من الأوضاع ..

تحركت أمريكا ، وكان أول لقاء مع وزير خارجيتها بعد وقف إطلاق النار فى أوائل أكتوبر ٧٣، وشعر الرئيس إنه أمام عقلية جديدة، وأسلوب جديد فى السياسة، ورأى لأول مرة وجه أمريكا الحقيقى الذى كان يتمنى فما مضى إن يراه.

كان الاتفاق على النقاط الستة بداية قيام علاقة فهم مشرك بيننا وبين أمريكا تبلورت فيما نسميه بعملية السلام peace process التى سارت فيها أمريكا معنا ومازالت حتى اليوم .

هذه البداية الحسنة مع أمريكا ، اعتبرها السوفييت نهاية للعلاقة بينهم وبيننا. لقد تحملوا كارهين قرار طرد الخبراء السوفييت، وتصفية مراكز القوى، ثم موقف الرئيس من ثورة السودان الشيوعية المجهضة ، ثم قرار الحرب وانتصاره فيها ، وأخيرا كان اتفاقه مع كيسنجر على النقاط الستة وبداية عملية السلام .

ومنذ تلك اللحظة وكل شيء عند السوفييت موقوف عن مصر ..لا أسلحة ولا قطع غيار ولا أى شيء على الإطلاق.. بل موقف متشدد يكاد أن يصل فى بعض الاحيان إلى العداء. كانت المرحلة الثانية لعملية السلام اتفاقية فض الاشتباك الأول على الجبهة المصرية ، وتلى ذلك فض الاشتباك الثانى فى سبتمبر ٧٥ حيث تمت المحلة الثالثة من عملية السلام . بعد ذلك لم يعد هناك مجال لحل الخطوة خطوة.. فنحن الآن بصدد تسوية شاملة أى اتفاق السلام النهائى وإنهاء حالة الحرب التى لا تزال قائمة إلى اليوم منذ ثلاثين سنة.. وعلينا إن نسعى إلى السلام الدائم العادل .

ذهب الرئيس السادات لزيارة كارتر بعد أن نجح فى الانتخابات واصبح رئيسا للولايات المتحدة، واستعرض معه كل المراحل التى تمت، كما وضع أمامه استراتيجية سلام محددة، هذه الاستراتيجية لا تنكر على إسرائيل حقها فى إن تعترف بها دول المنطقة.. ولكن بشرط إن يأخذ كل شيء وضعه الطبيعى. فاتفاقية السلام يجب أن تتضمن إقامة دولة فلسطين فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، على أن تنسحب إسرائيل من الأرض المحتلة سنة ١٩٦٧ .

أما على الجانب الآخر، فقد كفت إسرائيل عن الكلام عن نظرية الأمن الإسرائيلى بعد حرب أكتوبر وحلت محلها موضوعا جديدا هو طبيعة السلام.. إن طبيعة السلام التى – تتطلب إسرائيل معرفتها اليوم ليست فى الواقع إلا محاولة جديدة لإعاقة السلام ، تهدف من ورائها الى كسب الوقت لكى تتمكن من فرض سياسة الأمر الواقع ببناء المستعمرات الإسرائيلية فى الأرض العربية المحتلة ، كما تحاول الآن.. ثم على المدى البعيد لكى تنتهى أزمة الطاقة فلا يعود هناك تعارض بين مصالح إسرائيل ومصالح أمريكا كما هو حادث الآن.. وفى هذه النقطة بالذات يعقد الرئيس السادات– بمنتهى الموضوعية والبساطة– مقارنة بين موقف العرب وموقف إسرائيل إزاء المصالح الامريكية، ومنها يتضح إن ٩٩% من مصالح أمريكا فى المنطقة معنا نحن العرب ويناشد الرئيس الشعب الأمريكى بأننا أصدقاء.. ونود أن نظل كذلك أصدقاء..

بعد تبادل وجهات النظر مع أمريكا، اخذ الرئيس يتأمل الموقف من جديد .

تبين له إننا داخلون على حلقة مفرغة بسبب الحاجز النفسى الرهيب، ذلك الجدار الضخم من الشك والخوف والكراهية بل وسوء الفهم اذ أن كلا من الطرفين غير مستعد لتصديق الآخر وغير مهيأ نفسيا لتقبل ما يصله منه عن طريق أمريكا.. وهكذا.. بدا الرئيس يتأمل الموقف من زاوية جديدة وعكف على دراسته دراسة ذات عمق جديد..

وهنا وجد ما تعلمه فى الزنزانة ٥٤ فى سجن مصر يمده بقوة جديدة وطاقة جبارة على التغيير. إنه يواجه واقعا بالغ التعقيد يحتاج إلى :

* طاقات نفسية أولا.

* وفكرية ثانيا لتغييره .

ولقد تعلم أثناء تأمله للإنسان والحياة فى ذلك المكان المنعزل إن من لا يستطيع إن يغير أفكاره أولا لن يستطيع تحقيق أى تقدم ، فالتقدم مستحيل دون التغيير.

مإذا يمكنه أذن إن يغيره ؟.. لقد درجنا على اعتبار إسرائيل موضوعا مشحونا بحساسية وخطورة إلى الدرجة التى تحرم الاقتراب منه . بل لقد استمر هذا الموقف سنين طويلة حتى بلغت التراكمات حدا يصعب معه التغيير إن لم

يكن يستعصى تماما مثلما حدث بالنسبة للنظرة الإسـرائيلية للعرب .

وهنا وجد الرئيس إن السبيل الوحيد إلى التغيـر لابـد أن يتناول صلب هذه النظرة وجوهرها، فإذا كان لابد أن نناقش جوهر القضية وأساسها بغية تحقيق السلام الدائم فلابد لنـا من أسلوب جديد تماما- أسلوب يتخطى مرحلـة الـشكليات والإجراءات ويكسر حاجز عدم الثقة المتبادلة حتى لا نعـود للدائرة المغلقة والطريق المسدود.. هذه ناحية.. ومن ناحية أخرى.. نظر الرئيس إلى موقف أمريكـا.. مـإذا تـستطيع الولايات المتحدة إن تفعل ؟ كان لابد من بحث هذا الموضوع على أساس حقائق الحياة وأولها إن قدرة الرئيس الأمريكى على الحركة مرهونة بالوضع العالمى الـراهن، وثانيهـا إن قدرة أمريكا على المـساعدة لا يمكـن أن تتخطـى طبيعـة علاقاتها الخاصة بإسرائيل .

إزاء هاتين الحقيقتين ، ومـن منطلـق النظـرة العلميـة الواقعية وجد أن كل ما يـستطيع أن يطالـب بـه الـرئيس الأمريكى هو أنتهاج خط سياسى أمريكى أى موقف يتـسق

مع مصالح أمريكا ويتسق ثانيا مع مسئولية الولايات المتحدة كقوة عظمى مسئولة عن السلام فى العالم .

وربما كان أهم من هذا كله تلك الحقائق الجديدة التى أتت بها حرب أكتوبر إلى العالم .

وأولها أن العرب ليسوا جثة هامدة بل قوة قادرة على القتال وهزيمة إسرائيل فعلا .

وثانيها أن العرب قد استخدموا سلاح البترول ــ عصب المدنية فى الغرب ــ لأول مرة بكفاءة عالية ، لم يكن الهدف من حظر البترول عقاب المواطن الأمريكى أو الغربى بل التنبيه بأن الانحياز الأعمى لإسرائيل له ثمن .. فللغرب مصالح مثلما لنا مصالح ، ولنا قضية ، وينبغى أن يعود الغرب إلى رشده ، ويتبين أين مصالحه ومصالحنا .

وهكذا ــ بالنسبة للمبادرة ــ كانت هذه الحقائق مجتمعة تشكل البؤرة التى تجمعت عندها خيوط تفكير الرئيس ، ووجد أن مسئوليته تجاه شعبه ، تلك المسئولية أو الأمانة التى يحملها بالنسبة لجيلنا وبالنسبة للأجيال المقبلة تفرض عليه أن يقوم بما ينبغى أن يقوم به دون اعتبار لكرسى الحكم .

أيقن الرئيس بأنه لابد أن يؤدى واجبه كما ينبغـــى ، وإذا كان فى إمكانه أن يجنب الأجيال المقبلة الصورة التى ورثنها ــ إذا كان يستطيع ذلك ثم تقاعس عنه فسيكون قــد أخطــا أمام نفسه وأمام الله الذى سوف يحاسبه على كل ما يفعل .

قرر الرئيس أن يذهب إلى الكنيست ممثــل الــشعب فـــى إسرائيل ليضع أمامهم حقائق الموقف كاملة ويــضع علـــى عاتقهم مسئولية الأختيار والعمل وإذا كانوا يريــدون حقــاً العيش فى سلام فى هذه المنطقة . وقام الرئيس بتنفيذ هــذه المهمة .. مهمة مقدسة حقاً وصدقاً .. حيث تم الاتفاق هناك على شيئين أساسيين :

* أولا أن تكون حرب أكتوبر آخر الحروب .

* ثانيا أن نتناقش حول منضدة المفأوضات فى موضــوع الأمن لهم ولنا .

وبعد العودة استقبل الرئيس السادات بمظاهرة تأييــد لــم يسبق لها مثيل.. استقبال رائع مذهل.. وكان ذلك تكليفا بأن يخدم شعبه وأهله وحتى يتحقق الهدف من المبادرة .

يختتم الرئيس كتابه قائلا بأنه ســيظل متمــسكا بمبــادرة السلام التى قام بها ، وإنه لن يضيع فرصة علـــى الإطــلاق

لكى تحل مشكلة السلام فى الشرق الأوسط حلا جذريا وحضاريا، سيعمل على أقامة سلام عادل فى المنطقة بإعادة الأرض العربية المحتلة عام ١٩٦٧، وحل المشكلة الفلسطينية بإقامة دولة أو – كما قال كارتر معه– وطن قومى فلسطينى ، سيستمر فى المناقشة حتى ولو عارضه العالم كله، لأنه مستعد لأن يبذل فى سبيل ذلك كل شىء مهما طال الزمن .

يسجل الرئيس السادات إن الشعب المصرى قد استعاد كرامته وثقته بعد معركة أكتوبر ١٩٧٣ مثلما استعادت قواتنا المسلحة كرامتها وثقتها . لذلك لم تعد تحركنا أى عقد– سواء عقد النقص والانهزامية أو عقد التشكك والاحقاد، وهذا هو الذى جعلنا نلتقى– بعد إن انجلى غبار المعركة – سواء فى فض الاشتباك الأول أو الثانى أو عندما قابل الرئيس جولدامائير فى إسرائيل .

لم يكن بيننا بعد إن انتهى القتال– الا الاحترام– وهذا هو ما ينتهجه شعبنا المتحضر.. وهذا ما جعل خمسة ملايين مواطن تخرج لتحية الرئيس ، وجعلت القوات المسلحة تحييه كما لم تحيى إنسانا من قبل .

إن جذورنا الحضارية قائمة.. عمرها اكثر من سبعة آلاف عام وما زالت حية ونابضة.. لم تهن أو تضعف أبـــدا.. وإذا أندهش البعض فذلك لأنهم لا يستطيعون فهم هذه الحقيقـــة وإدراك طبيعة المصرى الأصيل الذى يبنى الحـــضارة اليـــوم مثلما بناها على ضفاف النيل منذ آلاف الـــسنين فـــى ظـــل الحرية والسلام .

وفى ختام هذا العرض نحب إن ننوه إلى مجموعة الوثائق ذات الأهمية البالغة التى ضمنها الرئيس فى مـــؤخرة بحثـــه لتكون شاهدا ودليلا لنا وللأجيال من بعدنا وهى :

١- رسالة الرئيس للاتحاد السوفييتى فى ٣٠ أغسطس ١٩٧٢ والتى تحمل توضيحا كاملا لكل مـــا بيننـــا وبـــين الاتحـــاد السوفييتى.. شرح السادات فيها لبريجنيـــف الموقـــف، يـــن مصر وروسيا بجميع أبعاده .

وكان طبيعيا بعد ذلك إن تتخذ مصر ما تراه من قرارات بعد إن أغلقت روسيا الفهم ، ورفضت الاستجابة لمطالبنا.

٢- التوجيه السياسى العسكرى الصادر من رئيس الجمهورية إلى القائد العام للقوات المسلحة فى أول أكتوبر ١٩٧٣، كذا الأمر الاستراتيجى الذى أصدره الرئيس القائد العـــام لتنفيـــذ

المهام القتالية المحددة أعتباراً من يوم ٦ أكتـــوبر ١٩٧٣ .

وقد كان هذا الأمر الأول من نوعه فى تاريخ مصر الحديث .

٣ ــ البرقية التى بعث بها الـــرئيس الـــسادات إلـــى الـــرئيس السورى حافظ الأسد يوم ٢٥ أكتـــوبر ١٩٧٣ يبلغـــه فيهـــا بقبول وقف إطلاق النار.. أوضح فيها الرئيس إنـــه مـــستعد لأن يحارب إسرائيل مهما طال الوقت ولكنه غير مستعد على الإطلاق لمحاربة أمريكا.. كما إنه لا يسمح بتـــدمير قواتـــه المسلحة أو إن يدمر شعبنا ومنشأته ..

ويعلن فيها مسئوليته الكاملة عن هـــذا القـــرار.. واســـتعداده الكامل لمحاسبة الشعب فى مصر والأمة العربية كلها عليه

٤ ــ خطاب الرئيس السادات فى الكنيست يـــوم ٢٠ نـــوفمبر ١٩٧٧.. رسالة شعب مصر إلى كل إنسان فى كـــل موقـــع ومكان.. رسالة الأمن و الأمان والسلام..